الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ ازدراء النعمة والاستخفاف بحرمات الله

هذه التَّرجمة «**بابٌ ازدراءُ النِّعمة، والاستخفافُ بحُرُماتِ اللَّه**» موجودةٌ في بعضِ نسخ هذا الكتاب وليست موجودةً في البعض الآخر، والنُّسخ الَّتي أُثبِتَت فيها هذه التَّرجمة تُرِكَ ما بعدها بياضٌ، فإذا كان هذا من صنيع المصنِّف رحمه الله تعالى فيكون ترك البياض ليُلحِقَ فيما بعد ما يتعلَّق بهذه التَّرجمة من أدلَّة.

قوله: «**بابٌ ازدراءُ النِّعمة**» ؛ ازدراؤها: أي احتقار النِّعمة وانتقاص النِّعمة والاستهانة بها ؛ وهذا ممَّا لا يليق بالمسلم، بل هو من كفران النِّعم. والنِّعمة لا تُزْدَرى أيًّا كانت، بل يُشْكَر المنْعِم سبحانه وتعالى عليها، وشكره جلَّ وعلا على القليل مُؤذِنٌ بالزِّيادة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] . وأمَّا ازدراء النِّعم –الّذي هو انتقاصُها واحتقارها– مُؤذِنٌ بالعقوبةِ والهلاك ؛ لأن هذا من كفران نعمةِ الله سبحانه وتعالى على عبده . وقد جاء في الحديث عن نبيِّنا صلوات الله وسلامه عليه أنَّه قال: ((انظروا إلى مَن هو دونكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم– أي في النِّعمة– فإنَّه أجدر ألاّ تزدروا نعمة الله عليكم))؛ لأنَّ نظر الإنسان إلى مَن هو أعلى منه في النِّعمة: في التِّجارة، في المال، في المسكن، في المركب.. نظره إلى هؤلاء يورثه ازدراء للنِّعمة، أمَّا إذا نظر إلى مَن هو أقلّ منه في النِّعمة، فإنَّ هذا يورث شكرَ المنعِم سبحانه وتعالى .

ولما نبَّه نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه هذا التَّنبيه أفاد ذلك أنَّ ازدراء النِّعمة من الأمور المحرَّمة والأمور الخطيرة الَّتي ينبغي على المرء أن يبتعد عنها، وأن يبتعد أيضًا عن الأسباب المفضية إليها. وعرفنا أنَّ من الأسباب المفضية إلى ازدراء النِّعم النَّظر إلى مَن هو أعلى منك في النِّعمة . فإذا كان الإنسان مثلاً يمتلك سيَّارةً قديمة وأخذ ينظر إلى مَن يمتلكون السَّيَّارات الجديدة؛ لا يرى نعمةَ السَّيَّارةَ الَّتي عنده شيئًا، فيزدري هذه النِّعمة، لكن إذا نظر إلى مَن لا يملك سيَّارة أصلاً، ويجد صعوبة في التَّنقُّل من مكان إلى مكان يحسّ بأنَّ هذه السَّيَّارة نعمة، فيشكر الله سبحانه وتعالى أن يسَّرها له. ومثل ذلك قُل في سائر النِّعم. فالشّاهد أنَّ ازدراء النِّعم من المحرَّمات، بل الواجب أن يشكر العبد ربَّه سبحانه وتعالى على نعمه، ويسأله سبحانه وتعالى المزيد من منِّه وفضله.

قال: «**والاستخفاف بحرمات الله**» ؛ و«حرمات الله» : يُطلَق هذا اللَّفظ تارةً ويُراد به ما حرَّم على عباده، وتارةً يُراد به ما شرع سبحانه وتعالى لعباده . قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾[الحج:٣٠] ، فحرمات اللَّهِ معظَّمة؛ الأوامر منها تُفْعَل، والنَّواهي تُجْتَنَب، ولا يُسْتَخفّ بشيْءٍ منها ، لا يُستخَفّ بشيْءٍ من أوامر الله ولا يُسْتَخفّ بشيْءٍ من نواهيه سبحانه وتعالى، بل الواجب على العبد أن يعظِّم حرمات الله سبحانه وتعالى. وتعظيم حرمات الله خيرٌ للعبد، وعلامةٌ على تقوى قلبه لله سبحانه، وخوفه من الله جلَّ وعلا.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ بغض الصالحين

وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية [الحشر:١٠]

٨٥ – عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا: ((يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب)).

معناه : إذا خرج رجلان من الصفين للقتال وهاهنا من عادى ولي الله فهو مبارز الله بالحرب.

****

قال: ((**بابٌ بغضُ الصّالحين**)) ؛ بغض الصالحين : أي أن يُضْمِرَ الإنسان في قلبه بُغْضَةً أو بِغْضَةً للصّالحين. والبغض: ضدّ المحبَّة، وفي الحديث: ((أَوْثَقُ عُرى الإِيمَانِ: الحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ)) ، وفي الحديث الآخر: ((مَنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ لِلهِ، وَأَعْطَى لِلهِ، وَمَنَعَ لِلهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَان)) . فالأصل في المسلم أن يحبَّ الصالحين، يحبَّهم لصلاحهم وإيمانهم وتقواهم لله عزّ وجلّ وفعلهم لأوامر الله سبحانه وتعالى وبُعدِهم عمَّا نهى الله جلَّ وعلا عنه. وهذا الحبّ للصّالحين هو من علائم الإيمان ودلائله؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أخبر أنَّ أوثق عُرى الإيمان: الحبُّ في الله والبُغضُ في الله. فحبُّ الصّالحين أن يكون في قلب الإنسان محبَّة للصّالحين هذا من علامات الخير، فإذا انعكس الأمر وأصبح –والعياذ بالله– يبغض الصّالحين، فهذا من علامات النِّفاق ومن علامات مرض القلب والعياذ بالله. ولهذا أورد رحمه الله هذه التَّرجمة في كتاب الكبائر «باب بُغض الصّالحين» مُبَيِّنًا رحمه الله تعالى أنَّ بغضهم هذا من علامات مرض القلب.

والبُغض عملٌ قلبي لا يفتقر إلى إظهار ليترتَّب عليه الحكم ، إن أظهر الإنسان ما يترتّب على البغض من عداوات ومن أذى ونحو ذلك، فهذا شرٌّ على شرّ وإثمٌ على إثم . فالبغض بحدِّ ذاته إثمٌ، وهو عمل من أعمال القلوب، هل ينطبق على هذا الذي في قلبه بغض للصّالحين ولم يترتَّب عليه فعل –أذى أو عدوان أو نحو ذلك– هل يترتَّب عليه ما جاء في الحديث أنَّ النّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((مَن همَّ بسيِّئَةٍ فلم يعملها)) هل يترتَّب وينطبق عليه هذا الحديث؟

فرقٌ بين الهمّ الذي لا يعزم عليه العبد، فهذا لا يُكتَب عليه سيِّئة، بل إن ترك هذا الهمّ من أجل الله كُتِبَ له حسنة، وبين أعمال القلوب الّتي هي بحدِّ ذاتها إثمٌ ، مثل: البغض، مثل الحسد كما سيأتي، والغِلّ، وغير ذلك؛ هذه أمراض قلوب وأعمال قلبيَّة يُحاسَب الإنسان عليها مثل ما يُحاسَب على عمله الظّاهر ، ومثل ما أنَّ المرء مُطالَب بإصلاح ظاهره فإنَّه كذلك مُطالَبٌ بإصلاحِ باطنه، فلو لم يوجد في المرء إلاّ البغض بدون أن يترتَّب عليه الأعمال التي تنشأ عن البغض فهو آثمٌ بذلك ومتعرِّضٌ لعقوبة الله سبحانه وتعالى.

قال: **وقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾** ؛

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الصّحابة ؛ لأنَّ الآيتين اللتين قبل هذه الآية في الصّحابة؛ الأولى في المهاجرين، والثّانية في الأنصار. قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد المهاجرين الذين ذُكِروا في الآية الأولى ، والأنصار الذين ذُكِرُوا في الآية الثانية. ما صفتهم؟ قال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

الشاهد من الآية: قوله ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ﴾ أي: سخيمةً وبُغضًا وكرهًا للّذين سبقونا بالإيمان ، ويأتي في مقدِّمة مَن سبقونا بالإيمان الصّحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، خير أمَّةِ محمَّد صلوات اللهِ وسلامه عليه. ولهذا من علامات النِّفاق ومرض القلب: بُغض الصّحابة. وإذا زاد على هذا البغض أعمالٌ أخرى من سبّ وشتم وأذى أو غير ذلك.. فهذا سوءٌ على سوء وشرٌّ على شرّ، ولو لم يوجد إلا البغض وحده في قلب الإنسان فهذا من علامات النِّفاق وعلامات مرض القلب ؛ لأنَّ حبَّ الصَّحابةِ إيمان، وبغضهم نفاق. وإذا كان الإنسان محِبًّا للصّحابة فهذا من علامات الإيمان، وبغض الصّحابةِ نفاقٌ، إذا كان المرء مبغضًا لهم فهذا من علامات نفاق القلب ومرضه.

قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الصّحابة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوصفهم بوصفين عظيمين:

- الأول: في قوله ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ وهذا فيه سلامة ألسنتهم، ألسنتهم تجاه الصّحابة سليمة، ليس فيها شتم ولا سبّ ولا وقيعة، بل ليس فيها إلا الاستغفار والدُّعاء.

- والوصف الثاني: في قوله ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذا فيه سلامة القلوب من الغِلّ والحقد والبغض ونحو ذلك.

فوصفهم بنوعين من السَّلامة: سلامة الألسُن، وسلامة القلوب ؛ سلامة الألسن ليس فيها سبّ ولا شتم ولا وقيعة. وسلامة القلوب ليس فيها بغض ولا حقد ولا سخائم ولا غير ذلك. فهذا من علامات الإيمان ووصف أهل الإيمان، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾. إذًا إن لم يكن القلب بهذا الوصف مُحِبًّا للصَّحابة وصار مُبغِضًا لهم هذا من علامات النِّفاق والعياذ بالله.

قال رحمه الله : **عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ((يقول الله تعالى))** هذا حديثٌ قُدسي **((يقول الله تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيْءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنّوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به، وبصره الّذي يبصر به، ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي عليها، ولئن سألني لأُعطِيَنَّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه))** نسأل الله الكريم من فضله.

فهنا هذا الحديث يُعْرَف عند أهل العلم بـ «حديث الولي» ، وإذا أردت أن تعرف وليَّ الله مَن هو؟ اقرأ هذا الحديث، وإذا أردت أن تعرف مكانة أولياء الله سبحانه وتعالى ومنزلتهم العليَّة اقرأ هذا الحديث. فالحديث فيه بيان منزلة أولياء الله ومكانتهم العليَّة، وفيه بيانٌ أيضًا مَن هم أولياءُ الله؟

أمّا مكانتهم فاقرأها في قوله: **((مَن عادى لي وليًّا فقد بارزني بالحرب))** ؛ ما معنى «فقد بارزني بالحرب»؟ انظر هذا الكلام الجميل : «**معناه: إذا خرج رجلان من الصَّفَّيْن للقتال**»، هذا يسمَّى مبارزة؛ إذا التقى الجيْشان عادةً يتقدَّم رجل، رجلين، ثلاثة للمبارزة، ويتقدَّم أيضًا لهم من العدوّ . فهنا يقول معناه: «**إذا خرج رجلان من الصّفّيْن للقتال**»، وهنا **((مَن عادى وليَّ الله فهو مبارِزٌ الله بالحرب))**، كأنَّه متقدِّم لهذا الشَّرّ وهذه العداوة الَّتي ليس فيها إلا هلكة نفسه –والعياذ بالله– في الدُّنيا والآخرة ((فقد بارزني بالحرب)). إذا كان يُذَمَّ مَن يتقدَّم في الصُّفوف لمبارزة ومقاتلة المسلمين ، يُقال: هذا من شدَّة عدوانه وعِظم شرّه يتقدَّم للمبارزة، فكيف بمَن بارز الله سبحانه وتعالى بالحرب!!.

فإذًا مُعاداةُ أولياء الله من أعظم ما يكون في العدوان والشَّرّ ، وأيضًا من أعظم ما يكون فيما يُؤذن بالعقوبة، عقوبة الله سبحانه وتعالى لمن كان كذلك. والواجب على المسلم ألاّ يكون في قلبه تجاه أولياء الله إلاّ الخير والنُّصح والمحبَّة، وليحذر الإنسان أشدَّ الحذر أن يكون في قلبه عداوة لطلاّب العلم وأهل العلم وحملة العلم ومَن حفظوا أوقاتهم في العلم وحفظه والعناية به ونشره والتفقُّه في دين الله، أو العداوة للعُبَّاد الذين انصرفوا لعبادة الله والإقبال

على طاعة الله سبحانه وتعالى، والإنسان ليس له إلاّ ظاهر النَّاس، فإذا وجد هذا الظّاهر في الإنسان إقبالاً على العلم وحرصًا عليه وتحرّيًا له واجتهادًا في طلبه أو إقبالاً على عبادة الله سبحانه وتعالى أحبَّه على هذا الخير، ولا يكون في قلبه بغض، يوفِّر بغضه لأعداء دين الله وأهل البدع والضَّلالات، أمَّا مَن اشتغل بالعلم واشتغل بالعبادة واشتغل بطاعة الله وعمل الخير لا يكون في قلبه إلاّ المحبَّة له.

وأولياء الله سبحانه وتعالى –كما أفاد هذا الحديث– على درجتين:

- الدَّرجة الأولى: فعل الواجبات وترك المحرَّمات ؛ وهذه الدَّرجة يدلّ عليها قوله: ((ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيْءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضته عليه)) .
- الدَّرجة الثانية: التَّنافس بعد فعل الواجبات وترك المحرَّمات في الرَّغائب والسُّنن والمستحبَّات ؛ ويدلّ على هذه الدَّرجة قوله: ((ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أُحِبَّه...)) إلى تمام الحديث.

قال رحمه الله تعالى :

٨٦ – عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر)).

****

قال: عن أبي هريرةَ مرفوعًا: **((لا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رجلٌ يؤمن باللَّه واليوم الآخر))** ؛ وهذا فيه أنَّ الإيمان باللَّه واليوم الآخر يقتضي حبَّ الأنصار ، وحبَّ أصحاب النَّبيّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه . وهذا المعنى المقرَّر في الحديث دلَّت عليه الآية المتقدِّمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ، فيقول عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((لا يبغِضُ الأنصار رجلٌ يؤمن باللهِ واليوم الآخر)) ؛ سبحان الله! كيف يبغضهم وهم الأنصار؛ الّذين آوَوْا ونصروا وآزروا النبيَّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وتلقَّوا المهاجرين بالقلوب المنشرحة والصُّدور الرَّحبة والتَّحيَّة والتَّرحيب، قاسموهم أموالهم بالنّصف، وأعانوهم وآزروهم، ونصروا دين الله تبارك وتعالى؛ فلا يبغض الأنصار إلاّ منافق، إلاّ مريض القلب بالنِّفاق، فآية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النِّفاق بغض الأنصار، لا يبغضهم إلاّ منافق ، كيف يبغضهم وهم أنصار دين الله سبحانه وتعالى، وأنصار الرَّسول الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه؟!

وذِكر الإيمان بالله واليوم الآخر: لأنَّ الإيمان بالله باعتبار أنَّ الله هو المقصود بالعبادة، ومن ذلك أنَّه هو جلّ وعلا المقصود بحبّ الصّالحين، فأنت تحبّ الصالحين من أجل الله ، تقرُّبًا بذلك إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو المقصود بهذا العمل، المقصود بكلّ عبادة.

وذِكر اليوم الآخر : لأنَّ اليوم الآخر هو دار الجزاء والحساب، فإذا أحبَّ الصَّالحين أثابه الله عزَّ وجلّ في ذلك اليوم، وإذا أبغضهم عاقبه الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم. وفي الدُّعاء المأثور: «اللهمَّ إنَّا نسألك حُبَّك ، وحبَّ مَنن يحبُّك، والعمل الّذي يقرّبنا إلى حبّك».

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ الحسد

وقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ الآية [النساء: ٥٤] .

****

قال: «**بابٌ الحسد**» ؛ الحسد أيضًا مرض من أمراض القلوب، والحسد: هو كراهية النِّعمة ، ولهذا يُوصَف الحاسد بأنَّه عدوٌّ نعمةِ الله على عباده ، وكلَّما زادت النِّعمة زاد في قلب الحاسد حسده ؛ لأنَّ في قلبه عداوة لنعمة الله سبحانه وتعالى على عباده ، ولهذا يوصف بأنه عدوٌّ نعمةِ الله على عباده . وهو بحسده لم يرضَ النِّعمة ، ولم يرضَ التَّدبير، ولم يرضَ القضاء والقَدَر، ولم يرضَ عِلم الله سبحانه وتعالى ومنّته على عباده وفضله سبحانه وتعالى.

فالحسد صفة ذميمة ، وليست من أوصاف أهلِ الإيمان، وإنَّما من أوصافِ أهلِ الكفر والضَّلال ، وليست من أوصاف الإيمان؛ لأنَّ الإيمان ينافي الحسد ويطرد الحسد من القلب؛ لأنَّ القلب المخلص لله عزّ وجل الّذي فيه الرِّضا بقضاء الله ومنّه جلَّ وعلا لا يحسد الآخرين على نعمة الله الَّتي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده.

وإمام الحاسدين وأوَّل مَن عُرِفَ بالحسد : إبليس ، وحسده كان لأبينا آدم ، اختصَّ الله آدم بخصائص ؛ خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنّته، وتفضَّل عليه بنعم ومنن متنوِّعة فحسده إبليس على نعمة الله سبحانه وتعالى عليه وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] ، حسد أبانا آدم على ما خصَّه الله سبحانه وتعالى به وعلى ما منَّ عليه به من النِّعم المتنوِّعات، فإبليس هو إمام الحسدة وقدوتهم ، وكلُّ حاسدٍ فيه شبهٌ من إبليس في هذه الخصلة.

والحسد صفة اليهود، والله سبحانه وتعالى وصف اليهود بذلك في غير ما آية ، منها هذه الآية الكريمة : ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[النساء: ٥٤] ، فاليهود حسدة ؛ يحسدون أهلَ الإيمان على ما آتاهم الله سبحانه وتعالى من فضله، وكما أنَّهم يحسدون أهل الإيمان على الإيمان فإنَّهم يحسدونهم أيضًا على تفاصيله ، مثل حسدهم لنا على التَّأمين، وغير ذلك من الأعمال الَّتي جاءت، وجاء بها النّبيّ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال رحمه الله تعالى :

٨٧ – عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) .

****

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**)) ؛ «لا يؤمن» : أي الإيمان الواجب الّذي أوجبه الله سبحانه وتعالى «حتى يحبّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه» ؛ وهذا فيه أنَّ الإيمان من مقتضياته أن تحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك . وإذا وقع الحسد في القلب فهذا يتنافى مع هذه المحبَّة المطلوبة ؛ أن تحبَّ لأخيك ما تحبّ لنفسك، لماذا؟ لأنَّ الحسد هو كُره للنِّعمة الَّتي أنعم الله بها على الغير وبغضٌ لها.

وذكر العلماء أنَّ الحسد ثلاث مراتب:

- أدنى هذه المراتب : كراهية النِّعمة .
- ثمّ يليها مع الكراهية: تمنّي الزّوال .
- ثمّ يلي ذلك مع الكراهيَّة وتمنِّي الزّوال: العمل على إزالة النِّعمة.

فهو ثلاث مراتب، وكلُّها حسد، إذًا فالحسد مبدأ شرارته كُره النِّعمة وبُغضها، وهذا يتنافى مع ما جاء في هذا الحديث ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**)) ، والإيمان هنا الإيمان الواجب ، بمعنى أنَّه إذا لم يحقِّقه العبد عرَّض نفسه لعقوبة الله؛ لأنَّ الله أوجب عليك أن تحِبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك.

قال رحمه الله تعالى :

٨٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((إياكم والحسد؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب)) رواه أبو داود.

****

قال: وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعًا: ((**إيَّاكم والحسد**)) أي : احذروه ، وتجنَّبوه، وابتعدوا عنه.

((**فإنَّه يأكل الحسنات**)) أي: حسنات صاحبه.

((**فإنَّه يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب، أو قال: العشب**)) ؛ والنَّار إذا اشتعلت في العشب الهشّ اليابس، فإنَّها تأكله أكْلاً سريعًا، والحسد شأنه مع الحسنات كذلك يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب، أو كما تأكل النار العشب.

والحديث في إسناده كلام ، لكن ما جاء فيه من التَّحذير من الحسد وبيان خطورته وأكله للحسنات هذا معنى صحيح دلَّت عليه الشَّواهد الكثيرة والدَّلائل المتنوِّعة في الكتاب والسُّنَّة.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ سوء الظن بالمسلمين

وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

****

قال رحمه الله: «**بابٌ سوء الظَّنّ بالمسلمين**» ؛ سوء الظَّنّ تارةً يكون شيئًا عارضًا لا يسترسل معه صاحبه، وإنَّما شيء يعرض للقلب وسرعان ما يطرده صاحبه ولا يستمرّ معه؛ فهذا لا يُذَمّ عليه ، لأنَّ هذه أشياء تهجم على القلب من غير اختيار، أشبه ما تكون بالخواطر الَّتي تهجم على القلب، ثمّ سرعان ما تذهب ويعمل على دفعها المرء المسلم النّاصح.

والنّوع الثّاني : هو ما يستمرّ عليه صاحبه ، ويستقِرّ في قلب الإنسان ؛ وهذا الَّذي يُذَمّ عليه الإنسان . أمَّا الخواطر الَّتي تأتي عرَضًا وتذهب ويطردها الإنسان بإيراد الاحتمالات الحسنة، عندما يرِد مثلاً الخاطر السيِّئ الّذي فيه سوء ظنّ بالآخرين يبدأ الإنسان يدفعه يقول: "لعلَّه كذا، ولعلَّه كذا، ولعلَّ.." حتى ينطرد، هذا لا يُذَمّ عليه؛ لأنَّه هجم على قلبك وعملتَ على طرده من القلب، فهذا لا يضرّ. أمَّا الَّذي يضُرّ هو سوء الظَّنّ الذي يستقِرّ في القلب ويستمرّ عليه الإنسان وينمِّيه في قلبه، يؤكِّده ويثبّته، هذا يُذَمّ عليه الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ؛ لأنَّك إذا ظننت في أخيك سوءً أو شرًّا ثمّ تبيَّن أنَّه على خلاف ذلك ، فهذا الظّنّ تكون آثمًا، هذا الظّنّ الذي استقرّ في قلبك ولم تعمل على طرده بل ثبَّته واستقرّ في قلبك وبقيت تحمل في قلبك لأخيك هذا الظَّنّ السَّيِّئ، ثمّ تبيَّن أنَّه بخلافِ ذلك؛ فهذا يأثم الإنسان عليه، وهو من أمراض القلوب الَّتي ينبغي على المسلم أن يتجنَّبها.

قال رحمه الله تعالى :

٨٩ – عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)) رواه مسلم.

****

قال صلوات الله وسلامه عليه: ((**إيَّاكم والظَّنّ**)) أي: احذروه، لا يجوز للإنسان أن يبني أموره على الظُّنون والأوْهام.

((**إيَّاكم والظَّنّ فإنَّ الظَّنَّ أكذب الحديث**)) ؛ إذا كان الإنسان يبني أحاديثه على مجرَّد الظُّنون دون أن يكون عنده يقين أو جزم بذلك، فما يُبنى على الظّنّ في الغالب كلُّه كذب، ((**فإنَّ الظَّنَّ أكذب الحديث**)) . ولهذا الواجب على الإنسان إذا عرض الظَّنَّ السَّيِّئ تجاه إخوانه المسلمين في قلبه فليحرص على دفعه وطرده بإيراد المحامل الحسنة، مثل ما نُقِل عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنَّه قال: «لا تظنَّنَّ بكلمةٍ قالها أخوك سوءًا وأنت

تجد لها على الخير مَحمَلاً» ، حاول أنت تجد محامل من محامل الخير تحمل عليها كلمته الّتي قالها أو فعله الّذي قام به ، لعلَّه أراد كذا، لعلَّه قصد كذا، لعلَّه لم ينتبه، لعلَّه .. إلى غير ذلك من المحامل الّتي تدفع عن قلبك سوء الظَّنَّ بأخيك.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.